هل يُتَشَاءَمُ بصفر؟

أخرج الجماعة أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر، وفر من المجذوم كما تفر من الأسد».

إعداد/ زكريا حسيني

هذا الحديث أخرجه البخاري في كتاب الطب من صحيحه برقم ٥٧٠٧ باب لا هام، وبرقم ٥٧٧٠ باب لا هامة، وبرقم ٥٧٧٣ باب لا عدوى وبرقم ٥٧٧٥ أيضا باب لا عدوى الستة المواضع عن أبي هريرة رضي الله عنه، وبرقم ٥٧٥٣ باب الطيرة، وبرقم ٥٧٧٢ باب لا عدوى الموضعين عن ابن عمر رضي الله عنهما.

وأخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه بالأرقام ١٠١، ١٠٣، ١٠٦، وعن جابر رضي الله عنه برقمي ١٠٨، ١٠٩ في كتاب «السلام» باب «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا نوء ولا غول، ولا يورد ممرض على مصح».

وأخرجه الإمام أحمد في المسند بالأرقام: ١٤٠٤٩، ١٤٢٨٥، ١٥٠٤١ عن جابر رضي الله عنه، وبرقمي ٧٦٠٩، ٩٥٧٨ عن أبي هريرة رضي الله عنه، وبرقمي ٣٠٣٢، ٢٤٢٥ عن ابن عباس رضي الله عنهما، وبرقم ٤٧٧٥ عن ابن عمر رضي الله عنهما، وبرقم ٧٠٧٠ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وبرقم ١٥٥٤ عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

وأخرجه أبو داود في كتاب الكهانة والتطير باب في الطيرة بالأرقام ٣٩١١، ٣٩١٢، ١٩١٣،

وأخرجه الترمذي في كتاب القدر باب «ما جاء لا عدوى ولا هامة ولا صفر» من حديث عبد الله بن مسعود بالفاظ مقاربة لحديث أبي هريرة عند غير الترمذي، وقال الترمذي: وفي الباب عن أبي هريرة، وابن عباس وأنس.

وأخرجه ابن ماجه في كتاب الطب باب «من كان يعجبه الفال ويكره الطيرة» برقم ٣٥٣٩ عن ابن عباس، وبعضه برقم ٣٥٣٧ عن أنس بن مالك، وبعضه عن ابن عمر برقم ٣٥٤٠

وأخرجه الإمام مالك في الموطأ في كتاب العين باب عيادة المريض والطيرة.

شرح الحديث

قوله: «لا عدوى»:

قال أبو عمر بن عبد البر: معناه لا يعدي شيء شيئا، ولا يعدي سقيم صحيحًا، والله يفعل ما يشاء، لا شيء إلا ما شاء. وكانت العرب أو أكثرها تقول بالعدوى والطيرة، ومنهم من كان لا يصدق بذلك وينكره.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

* الطِّيَرَةُ هِيَ التَّشَاؤُمُ. وأصلها التشاؤم بالطير أو التفاؤل به.
* كان أهل الجاهلية يعتقدون أن القتيل يخرج من رأسه طائر يقول أسقوني حتى يقتل قاتله.

قوله: ولا طيرة:

قال ابن حجر: الطِّيرةُ هي التشاؤم، وأصل التطير أنهم كانوا في الجاهلية يعتمدون على الطير فإذا خرج أحدهم لأمر فإن رأى الطير طار يَمْنَةً تيمن به واستمر، وإن رآه طار يَسْرَةً تشاءم به ورجع، وربما كان أحدهم يهيج الطير ليطير فيعتمدها، فجاء الشرع بالنهي عن ذلك، وكانوا يسمونه السانح والبارح، فالسانح: ما وَلَّك مَيَامِنَه، بأن يمر من يسارك إلى يمينك، والبارح بالعكس، وكانوا يتيمنون بالسانح ويتشاءمون بالبارح، وليس في شيء من سنوح الطير وبروحها ما يقتضي ما اعتقدوه، إذ لا نطق للطير ولا تمييز فيستدل بفعله على مضمون معنى فيه، وطلب العلم من غير مظانه جهل من فاعله، ا.هـ من الفتح بتصرف.

وأما قوله: ولا هامة: وفي رواية «ولا هامَ».

فقد قال ابن عبد البر: اختلفوا في ذلك فقال بعضهم: إن الرجل إذا قُتِلَ خرج من رأسه طائر يزفو، فلا يسكت حتى يُقْتَلَ قاتِلُه، وقال بعضهم: عظام القتيل تصير هامةً، فكانت تطير، فأكذبهم النبي ﷺ فقال: «لا عدوى ولا هام» ونهى عن اعتقاد ذلك. ا.هـ من الاستذكار بتصرف.

وقال السيوطي في شرحه على الموطأ: أي لا يتطير به كما كانت العرب تتطير به وتقول: إذا وقعت هامة على بيت خرج منه ميت، وقيل المراد نفي ما كانت العرب تزعم أنه إذا قتل قتيل خرج من رأسه طائر فلا يزال يقول: أسقوني حتى يقتل قاتله. ا.هـ تنوير الحوالك.

وقوله: «ولا صفر».

كانت العرب تزعم أن الصَّفَر حية تكون في البطن وبذلك فسره البخاري رحمه الله، تصيب الماشية والناس فهي عندهم أعدي من الجرب، فالحديث لنفي ذلك أو لنفي العدوى به، قولان، وقيل المراد بقوله: «لا صفر»: الشهر المعروف، فإن العرب كانت تحرمه وتستحل المحرم، فجاء الإسلام برد ذلك. وقيل: إن العرب كانت تتشاءم بقدوم شهر صفر المعروف، لأنه يأتي بعد ثلاثة الأشهر الحرم «ذي القعدة، وذي الحجة، والمحرم» فيعتقدون أن صفر يحل الشؤم فيه بحلول القتال والقتل، والذنب ذنب البشر في الحقيقة وليس ذنب الشهر، فلذلك جاء الإسلام يبين أنه لا شؤم في هذه الأشياء.

قوله في رواية مسلم: «ولا نوء»:

كان أهل الجاهلية إذا نزل بهم مطر، نسبوه إلى الكواكب، فقالوا كما جاء في حديث زيد بن خالد الجهني: «مطرنا بنوء كذا وكذا» فبين النبي ﷺ أن هذا إيمان بالكوكب وكفر بالله، وأما المرء المسلم فيرد الأمر كله لله فيقول: مطرنا بفضل الله ورحمته فيكون مؤمنا بالله كافرا بالكوكب».

وقوله في روايته أيضًا: «ولا غول»:

قال صاحب معارج القبول: وأما الغول فهي واحد الغيلان، وهي من شر شياطين الجن وسحرتهم، والنفي لما كان يعتقده أهل الجاهلية فيهم من الضر والنفع، وكانوا يخافونهم خوفا شديدًا ويستعيذون ببعضهم من بعض، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن:٦]، زاد الإنس الجن جرأة عليهم وشرًا وطغيانا، وزادهم الجن إخافة وخبلا وكفرانا. فأبدلنا الله عز وجل عن الاستعاذة بالمخلوقين الاستعاذة

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

* هل هناك تعارض بين قوله : «لا عدوى» وبين قوله : «وفر من المجذوم»؟
* باب «حظك اليوم» وموقف المسلم من التشاؤم والتفاؤل

بجبار السماوات والأرض، رب الكون وخالقه ومالكه وإلهه، وبأسمائه الحسنى وصفاته العليا وكلماته التامات التي لا يجاوزهن جبار ولا متكبر.

وإذا نظرنا إلى أول الحديث وجدنا نفي العدوى، فإذا جئنا إلى نهاية الحديث وجدنا الأمر بالفرار من المجذوم، وفي الحديث الآخر «لا يورد ممرض على مصح» أي لا يورد صاحبُ الإبل المريضة على صاحب الإبل الصحيحة، فيظهر بادئ الأمر أن بين أول الحديث وآخره تناقضا، والأمر ليس كذلك بل إن العلماء تكلموا على هذا كلاما جيدًا، وقد أطال الحافظ في الفتح النقل عمن سبقه من العلماء حول من سلك منهم مسلك الترجيح، فمن رجح نفي العدوى وقال بنسخ الأمر بالفرار من المجذوم، ونسخ النهي عن إيراد الممرض على المص، ومن سلك في ترجيحه عكس ذلك، ولكن الحافظ رحمه الله تعالى قال: إنما يلجأ إلى الترجيح عند عدم إمكان الجمع، والجمع هنا ممكن فهو أولى من الترجيح قال في الفتح: وفي طريق الجمع مسالك وذكر عددا منها، وقد لخصها صاحب معارج القبول في ثلاثة أوجه، قال:

أحدها: أنه ﷺ أمر بالفرار من المجذوم لئلا يتفق للمخالط شيء من ذلك ابتداء لا بالعدوى المنفية، فيظن أنه بسبب المخالطة فيعتقد ثبوت العدوى التي نفاها رسول الله ﷺ فيقع في الحرج، فأمر بتجنب ذلك شفقة منه على أمته ورحمة بهم، وحسما للمادة وسدًا للذريعة، لا إثباتا للعدوى كما يظن بعض الجهلة من الأطباء، والدليل على ذلك قوله ﷺ للأعرابي الذي استشهد لصحة العدوى بكون البعير الأجرب يدخل في الإبل الصحاح فتجرب ، فقال له ﷺ «فمن أعدى الأول؟» يعني أن الله تعالى ابتدأ المرض في الباقي كما ابتدأه في الأول، لا أن ذلك من سريان المرض بطبيعته من جسد إلى آخر.

الوجه الثاني: أن نهيه ﷺ عن المخالطة لأنها من الأسباب التي أجرى الله تعالى العادة بأنها تفضي إلى مسبباتها لا استقلالا بطبعها، ولكن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الأسباب ومسبباتها فإن شاء تعالى أبقى السبب وأثر في مسببه بقضاء الله تعالى وقدره، وإن شاء سلب الأسباب قواها فلا تؤثر شيئا، ومن قوي إيمانه وكمل توكله وثقته بالله، وشاهد مصير الأمور كلها إلى رب الأرباب ومسبب الأسباب، كما أن مصدرها من عنده عز وجل، فنفسه أبية وهمته عَلِيَّةٌ، وقلبه ممتلئ بنور التوحيد، فهو واثق بخالق السبب، ليس لقلبه أدنى الْتِفَاتٌ إلى الأسباب سواء فعلها أم لم يفعلها.

الوجه الثالث: أن النفوس تستقذر ذلك وتنقبض عند رؤيته وتشمئز من مخالطته وتكرهه، ولا سيما مع ملامسته وشم رائحته، فيحصل بذلك تأثير بإذن الله في سقمها قضاءً من الله وقدرًا، لا بانتقال الداء بطبيعته كما يعتقده أهل الجاهلية.

ثم قال صاحب معارض القبول - رحمه الله تعالى -: ومن هذا الباب نهيه ﷺ عن القدوم على البلاد التي بها الطاعون وعن الخروج منها فرارًا منه، فإن في القدوم عليه تعرضا للبلاء، وإلقاءً بالأيدي إلى التهلكة، وتسببا للأمور التي أجرى الله تعالى العادة بمضرتها،

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس

وفي الفرار منه تسخط على قضاء الله وارتياب في قدره وسوء ظن بالله عز وجل، فأين المهرب من الله تعالى؟ وأين المفر؟ لا ملجأ من الله إلا إليه، وقد أخرج البخاري رحمه الله في صحيحه عن عائشة زوج النبي ﷺ ورضي الله عنها أنها سألتْ رسول الله ﷺ عن الطاعون فأخبرها نبي الله ﷺ أنه كان عذابا يبعثه الله على من يشاء، فجعله الله تعالى رحمة للمؤمنين، فليس من عبد يقع الطاعون في بلده فيمكث صابرًا يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر الشهيد».

ومما يقع من التطير في زماننا هذا أن بعض الناس قد يترك حاجته ويعتقد عدم نجاحها، تشاؤمًا بسماع بعض الكلمات القبيحة مثل: يا هالك، أو يا ممحوق ونحوها، وكذا التشاؤم ببعض الطيور كالبومة وما شاكلها إذا صاحت قالوا إنها مخبرة بشرٍّ، وكذلك التشاؤم بملاقاة الأعور أو الأعرج أو الشيخ الهرم أو العجوز الشمطاء، وكثير من الناس إذا لقيه واحد من هؤلاء وهو ذاهب لحاجة صده ذلك عنها ورجع معتقدًا عدم نجاحها، وكثير من أهل البيع لا يبيع لمن هذه صفته إذا جاءه أول النهار حتى يبيع لغيره تشاؤما به وكراهة له، وكثير منهم يعتقد أنه لا يناله في ذلك اليوم خير قط، وكثير من الناس يتشاءم بما يحدث له هو في حال خروجه كما إذا عثر أو أصابه شيء عارضٌ يرى أنه لا يجد خيرًا، ومن ذلك التشاؤم ببعض الأيام أو بعض الساعات كالحادي والعشرين من الشهر، وآخر أربعاء فيه ونحو ذلك، فلا يسافر فيه كثير من الناس ولا يعقد فيه نكاحًا ولا يعمل فيه عملا، يظن أو يعتقد أن تلك الساعة نحس، وكذلك التشاؤم ببعض الجهات في بعض الساعات فلا يستقبلها في سفر ولا في غيره حتى تنقضي تلك الساعة أو الساعات، إلى غير ذلك مما يقع فيه الكثير من الناس ممن يعتمدون في تصرفاتهم على قراءة «حظك اليوم». وهو من عمل المنجمين الكاذبين، وهذه الأعمال من التطير بأنواعها كثير منها كان في الجاهلية فأبطلها الإسلام بعد نبوة محمد ﷺ، فأعادها الشيطان في هذا الزمان أكثر مما كانت عليه في الجاهلية، وساعده عليه شياطين الإنس من الكهنة والمنجمين وأضرابهم وأتباعهم.

نسأل الله تعالى أن يردنا إلى دينه ردًا جميلا، وأن يجعلنا ممن يتوكلون عليه سبحانه حق التوكل، وأن يقوي إيماننا ويقيننا به إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

www.altawhed.net موقع مسجد التوحيد ببلبيس